مرويات غزوة الحديبية دراسة تاريخية

أ. م. د. ظفر عبد الرزاق ذنون جاسم

جامعة الموصل / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم التاريخ

Narratives of the Battle of Hudaybiyah, a historical study

Assist. Prof. Dr. Thafar Abdul Razzaq Dhanoun Jassim

Mosul University / College of Education of the Humanities / Department of History

mailto:dr.dafer.abdulrazzaq@uomosul.edu.iq

رقم الموبايل: ٠٧٧٤٠٨٥٥٥٩٣

الملخص:

تعد دراسة سيرة النبي محمد (ﷺ) من اهم دراسات التاريخ الاسلامي وخاصة دراسة المغازي وذلك لأنها اخذت جانباً كبيراً من حياته ومن اهم وسائل الدعوة إلى الدين الاسلامي وقد ادرك المؤرخون اهمية المغازي فأولوها جانباً عظيماً من عنايتهم وتدوينهم من زمن مبكر، فلابد من تمييز ما صح من سيرته عن غيرها (ﷺ) لأن كتب المغازي المتداولة بأيدينا لم يلتزم أصحابها الصحة في بعضها. فمنهم من تفردوا ببعضها عن كتب المغازي الأخرى وبسبب هذا تحتم علينا على جمع مرويات المغازي من كتب السنة وكتب السيرة النبوية وهو ما حملنا على دراسة واحدة من اهم الحوادث في حياة الرسول (ﷺ) وهي غزوة الحديبية وبيان جميع المرويات الواردة فيها.

الكلمات المفتاحية: غزوة – الحديبية – مرويات – سيرة – تاريخية

Abstract

The study of the biography of the Prophet Muhammad (PBUH) is one of the most important studies of Islamic history, especially the study of Maghazi, because it took a large part of his life and one of the most important means of advocating the Islamic religion. From his biography on the authority of others, because the books of Maghazi circulated in our hands, their owners did not adhere to the correctness of some of them. Some of them separated some of them from other Maghazi books, and because of this, we had to collect the Maghazi narrations from the books of the Sunnah and the books of the Prophet's biography, which led us to study one of the most important events in the life of the Messenger ,(ﷺ) which is the Battle of Hudaybiyah and to clarify all the narrations contained in it.**Key word**: The Battle of Al-Hudaybiyah - Narratives - Biography - Historical

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً...ختم الله (ﷻ) الرسالات برسالة محمد (ﷺ) وجعل دينه ناسخاً للأديان قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[١] ومن اهم جوانب سيرته (ﷺ) هي مغازيه لأنها أخذت حيزاً كبيراً من حياته في مجال الدعوة الإسلامية وهي التطبيق العملي لأحكام الجهاد. وقد ادرك السلف اهمية المغازي (في علم المغازي علم الآخرة والدنيا)[٢].ولأهمية سيرة الرسول (ﷺ) ومغازيه على وجه الخصوص لابد من معرفتها ودراستها وتخريج مروياتها من بعض كتب السيرة وبيان اهميتها حيث وردت الكثير من مرويات المغازي في بطون كتب السنة وتفردت ببضعها عن كتب المغازي، وهذا كله يحتم العمل على جمع المرويات من كتب السنة ومصادر السيرة النبوية[٣] وهو ما حملنا على اختيار مرويات غزوة الحديبية موضوعاً للبحث الذي بين ايدينا وسبب اختياره هو ما تفردت به غزوة الحديبية من وقائع عظيمة ونزول الآيات القرآنية فيه والحكمة والموعظة التي خرج بها النبي (ﷺ). تناولتُ في البحث دراسة تفصيلية عن اهم المرويات الواردة في غزوة الحديبية ابتداءً من تسميتها وزمن وقوعها واماكنها والاحداث والشخصيات المشاركة فيها. ومدى صحة هذه المرويات ودقتها. وقد سبقتني دراسات في هذا المضمار وقد أفدتُ من تجاربهم وما خرجتُ أحسب أنه سيسد ثغرة لا بأس بها في هذه الغزوة. وأسأل الله ان يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم.

أولا : تاريخ الغزوة:

خرج الرسول (ﷺ) من المدينة متجهاً في الأثنين من شهر ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة (كانت الحديبية سنة ست بعد مقدم النبي المدينة في ذي القعدة)[٤] وفي رواية (ان رسول الله خرج معتمراً فحال بينه وبين البيت فنحر هديه وحلق رأسه بالحديبية، وقاضاهم على ان يعتمر العام المقبل ولا يحمل سلاحاً عليهم إلا سيوفاً ولا يقيم بها إلا ما أحبوا. فاعتمر من العام المقبل فدخلها كما كان صالحهم، فلما أقام بها ثلاثاً أمروه أن يخرج فخرج)[٥] فهذا الحديث يفيد ان النبي (ﷺ) اعتمر عمر القضية في العام الذي يلي عام الحديبية مباشرة وإذا ثبتت ان عمرة القضية في السنة السابعة، وانها في السنة التي تلي عام الحديبية اذن في السنة السادسة بلا شك. وقد اجمع المسلمون ان الحديبية سنة ست من الهجرة في ذي القعدة[٦]، وبلا خلاف[٧]، وفي رواية (خرج رسول الله من المدينة يوم الاثنين لهلال ذي القعدة)[٨] وفي رواية (وركب راحلته القصواء وخرج الاثنين لهلال ذي القعدة)[٩].وهناك رواية ذكرت أنها خرجت في شوال (خرج رسول الله (ﷺ) إلى الحديبية في رمضان وكانت الحديبية في شوال)[١٠]. وقدعد العلماء هذه الرواية شاذة.

ثانيا : أعداد المشاركين في الغزوة:

وردت نصوص كثيرة تشير إلى عدد المسلمين في الغزوة الذين خرجوا إلى الحديبية وقد اختلفت الروايات في ذكر تلك الاعداد فقد جاء في رواية عند البخاري (خرج النبي (ﷺ) عام الحديبية في بضع عشر مائة من اصحابه)[١١]، وهناك روايات ذكرت بتحديد الف وثلاثمائة (كان اصحاب الشجرة ألفاً وثلاثمائة وكانت أسلم ثمن المهاجرين)[١٢] (ورواية اخرى ذكرت بألف وأربعمائة)[١٣] (قال رسول الله (ﷺ) يوم الحديبية انتم خير أهل الأرض وكنا ألفاً وأربعمائة، ولو كنت أبصر لأريتكم مكان الشجرة)[١٤] وأخرى حددت بألف وخمسمائة، قال البخاري (عطش الناس يوم الحديبية والنبي بين يديه ركوة[*] فتوضأ فجهش[*] الناس نحوه فقال: ما لكم؟ قالوا: ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك. فوضع يده في الركوة فجعل الماء يثور[*] بين اصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا قلت كم كنت؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا كنا خمس عشرة مائة)[١٥].وجاءت رواية اخرى تذكرهم بسبعمائة (خرج النبي (ﷺ) عام الحديبية يريد زيارة البيت لا يريد قتالاً وساق معه الهدي سبعين بدنة وكان الناس سبعمائة رجل فكانت كل بدنه عن عشرة)[١٦].وورد تحديد سبعمائة قال الامام أحمد (خرج النبي (ﷺ) عام الحديبية يريد زيارة البيت لا يريد قتال وساق معه الهدي. سبعين بدنة وكان الناس سبعمائة رجل فكانت كل بدنة عن عشرة)[١٧].ورواية اخرى ذكرت الف وخمسمائة وخمسة وعشرين (كان اهل البيعة تحت الشجرة الفاً وخمسمائة وخمسة وعشرين)[١٨].وفي رواية اخرى ذكرت الف وخمسمائة واربعين (قسمت خيبر على الف وخمسمائة سهم وثمانين سهماً وكانوا الفاً وخمسمائة وثمانين رجلاً الذين شهدوا الحديبية فيهم الف وخمسمائة واربعون، والذين كانوا بأرض الحبشة اربعين رجلاً)[١٩].وفي تحديد الف وسبعمائة جاءت رواية (خرجنا مع رسول الله (ﷺ) في غزوة الحديبية فنحرنا مائة بدنة ونحن سبع عشر مائة ومعهم عدة السلام والرجال والخيل وكان في بدنه جمل فنزل بالحديبية فصالحته قريش على ان هذا الهدي محله حيث حبسناه)[٢٠].ورواية اخرى ذكرت بخروج الف وثمانمائة (خرج رسول الله (ﷺ) يوم الحديبية في الف وثمانمائة وبعث بين يديه عيناً له من خزاعة)[٢١].يتضح مما سبق باختلاف الروايات التي تذكر عدد المسلمين وخروجهم إلى الحديبية فالاجماع يكون بالنصوص الصحيحة التي ذكرت الف وثلاثمائة وألف واربعمائة والف وخمسمائة وذلك بالرجوع إلى اسانيدها حتى في رواية بضع عشر فيمكن حملها إلى احد الاعداد الثلاثة لأن البضع يصدق على العدو من ثلاثة إلى عشرة.

ثالثا : مكان نزول المسلمين:

وقد نزل المسلمون بذي الحليفة ومعه المهاجرون والانصار ومن تبعهم من الاعراب[٢٢] وصلى بها الظهر قال مسلم (حدثنا ابراهيم بن دينار حدينا حجاج بن محمد الاعور قال: قال ابن جريج: هل بايع النبي (ﷺ) بذي الحليفة؟ فقال: لا ولكن صلى بها ولم يبايع عند شجرة إلا الشجرة التي بالحديبية)[٢٣].وهنا وردت رواية ارسال بسر بن سفيان عيناً إلى مكة من قبل الرسول (ﷺ) (فلما أتى ذا الحليفة قلد الهدي وأشعره واحرم منها بالعمرة وبعث عيناً[*] له من خزاعة وسار النبي (ﷺ) حتى إذ كان بغدير الاشطاط[*] أتاه عينهِ)[٢٤].وجاء في رواية (خرج رسول الله حتى إذا كان بعسفان[*] لقيه بشر بن سفيان الكعبي فقال: يا رسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك)[٢٥] فمن ذكر غدير الاشطاط يقصد ربما تحديد الموضع الذي نزل فيه النبي (ﷺ) ومن قال عسفان اراد الجهة أو الناحية وأكتفى لشهرته دون الاخر[٢٦] وفي هذه الاثناء وصل خبر المسلمين إلى قريش (ان النبي (ﷺ) لما خرج في عمرة الحديبية فبلغ الروحاء[*] وهي من ذي الحليفة على اربعة وثلاثين ميلاً–أخبره بأن عدداً من المشركين بوادي غيقة[*] يخشى منهم ان يقصدوا غرته فجهز طائفة من اصحابه فيهم أبو قتادة إلى جهتهم ليأمن شرّهم فلما أحنوا ذلك لحق أبو قتادة واصحابه بالنبي (ﷺ) فأحرموا إلا هو فاستمر حلالاً)[٢٧].وقد واجه المسلمين في طريقهم إلى الحديبية خالدا بن الوليد في خيل المشركين وقد قطع طريق المسلمين إلى مكة فليس أمام المسلمين ان هم تقدموا في طريقهم ذلك إلا خوض معركة محققة مع خيل خالد بن الوليد وكان الرسول (ﷺ) حريصاً على تحاشي القتال مع قريش. ولذلك صرف اصحابه بعد أن أمسى[٢٨] إلى طريق آخر لا يمر على خيل خالد أفضى بهم إلى ثنية انزلتهم الحديبية. وفي رواية اخرى (لما كنا بالغميم لقى رسول الله (ﷺ) خبر قريش انها بعثت خالد بن الوليد في جريده[*] خيل يتلقى رسول الله (ﷺ) فكره رسول الله ان يلقاه وكان بهم رحيماً فقال: من رجل يعد لنا عن الطريق؟ فقلت: أنا بأبي أنت فأخذتهم في طريق قد كان بها حزناً[*] فدافد[*] وعقاب فاستوت بنا الأرض حتى انزله على الحديبية وهي نزح[*] فألقى فيها سهماً أو سهمين من كنانته ثم بصق فيها ثم دعا فغارت عيونها حتى إني لأقول أو نقول لو شئنا لاغترفنا بأيدينا)[٢٩]. وفي هذه الاثناء تحمل المسلمون صنفوفاً من الأذى والتعب بسبب وعورة الطريق ولكنهم نالوا جزاء ذلك مغفرة الله تعالى[٣٠]. فبعد أن جازوا الثنية في آخر الليل هبطوا على الحديبية والجو شديد الحرارة فأخذوا يشتكون إلى الرسول (ﷺ) قلة الماء لشدة عطشهم فبعد بروك ناقة الرسول (ﷺ) قال (ثم زجرها[*] فوثبت قال: فعدل عنها حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد[*] قليل الماء يتربضه[*] الناس تربضا فلم يلبثه الناس حتى نزحوه وشكى إلى رسول الله (ﷺ) العطش انتزاع سهماً من كنانته ثم امرهم ان يجعلوه فيه فوالله ما زال يجيش بالري

حتى صدروا عنه)[٣١] وعن ابن اسحق (ثم قال للناس انزلوا فقالوا: يا رسول الله ما بالوادي ماء ينزل عليه الناس فأخرج سهماً من كنانته فأعطاه رجلاً من اصحابه فنزل في قليب[*] من تلك القلب فغرزه في جوفه فجاش الماء بالرواء حتى ضرب الناس عنه يعطن[*])[٣٢].وقال ابن اسحق (فحدثني بعض اهل العلم عن رجال من أسلم ان الذي نزل في القلب بسهم رسول الله (ﷺ) ناجية بن جندب بن عمير بن يعمر بن دارم ابن عمرو بن واثلة بن سهم بن مازن بن أسلم وهو سائق بدن رسول الله (ﷺ))[٣٣].ولما سمعت قريش بخروج النبي (ﷺ) عقدت مجلساً قررت فيه صد المسلمين البيت فبعد أن أعرض رسول الله (ﷺ) عن الاحابيش، نقل إليه رجل من بني كعب ان قريشاً نازلة بذي طُوَى، وتوافدوا وجمعوا الاموال فكان يطعم في اربعة امكنة في دار الندوة[٣٤]. (وسار النبي (ﷺ) حتى إذا كان بغدير الاشطاط اتاه عينه قال: ان قريشاً قد جمعوا لك جموعاً وقد جمعوا لك جموعاً وقد جمعوا لك الاحابيش وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ومانعوك)[٣٥].

رابعا : موقف قريش:

بدأت قريش بترقب المسلمين وعلمت بنزول المسلمين في الحديبية اخذت ترسل مجموعات من فرسانها كلهم يصادفون غرة من المسلمين يحققون فيها بعض مآربهم جاء في رواية (ان ثمانين رجلاً من اهل مكة هبطوا على رسول الله (ﷺ) من جبل التنعيم متسلحين يريدون غزوة النبي (ﷺ) فأخذهم سلماً فاستحياهم)[٣٦]، فأنزل الله (ﷻ): ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾[٣٧] وذكر ابن هشام رواية اخرى (ان قريشاً بعثوا اربعين رجلاً منهم أو خمسين رجلاً وأمروهم ان يطيفوا بعسكر رسول الله (ﷺ) ليصيبوا لهم من اصحابه أحداً فأخذوا أخذاً فأتى بهم رسول الله (ﷺ) فعفا عنهم وخلى سبيلهم وقد كانوا رموا في عسكر رسول الله (ﷺ) بالحجارة والنبل)[٣٨].جرت المراسلات بين قريش والمسلمين لتوضيح موقفها فقد ذكر الواقدي ان قريشاً أرسلت بديل بن ورقاء الخزاعي إلى الرسول (ﷺ) الذي عبر له عن اصرار قريش على عدم السماح له بدخول مكة. ولما وقف بديل على اخبار رسول الله (ﷺ) قال رسول الله (ﷺ) (إنا لم نجئ لقتال احد ولكنا جئنا مُعتمرين وان قريشاً قد نهتكم الحرب وأضرت بهم، فإن شاؤوا ما دَدتهم، ويخلوا بيني وبين الناس، وان شاؤوا أن يُدخلوا فيما دخل فيه الناس فَعلوا، والا فقد جمُّوا، وان اهم أبَوا إلا القتال فوالذي نفسي بيده لأقاتلنَّهم على امري هذا حتى تنفرد سالفِتي، أو لينفذَن الله أمره)[٣٩].وقد ارسل الرسول (ﷺ) من جانبه عثمان بن عفان إلى مكة لتنشيط الحوار مع زعماء مكة وتوضيح موقف الرسول (ﷺ) بصورة دقيقة (فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش، فبلغهم عن رسول الله (ﷺ) ما ارسله به)[٤٠] (بأنه لم يأتِ لحرب انما جاء زائراً لهذا البيت معظماً لحرمته وقد استقبله سعيد بن العاص نزل عن دابته وحمله بين يديه وردف[*] خلفه وأجاره حتى بلغ رسالة رسول الله (ﷺ) فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان ورؤساء قريش فبلغهم عن رسول الله (ﷺ) ما ارسله به فقالوا لعثمان: إن شئت ان تطوف بالبيت فطف فقال: ما كنتُ لأفعل حتى يطوف به رسول الله (ﷺ) قال فاحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله (ﷺ) والمسلمين ان عثمان قد قتل)[٤١].وفي تلك الاثناء كان الرسول (ﷺ) قد ارسل عشرة من اصحابه من المهاجرين بدخول مكة وزيارة اهليهم وكان من بينهم عبد الله بن سهيل بن عمرو والذي تعهد قريش لأبيه سهيل بن عمرو بمفاوضة المسلمين والتوصل معهم إلى صلح الحديبية[٤٢]. غير ان عثمان وبقية المسلمين الذين دخلوا معه مكة تأخروا في العودة وبقوا في مكة ثلاثة ايام ربما بسبب الحوار والمفاوضات بين عثمان وزعماء المشركين.

خامسا : أحداث البيعة:

لما شاع خبر مقتل عثمان دعا الرسول (ﷺ) اصحابه إلى البيعة قال تعالى: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾[٤٣] والشجرة المشار إليها هي شجرة سمرة قال البخاري عن طارق بن عبد الرحمن (انطلقت حاجاً فمررتُ بقوم يصلون قلت ما هذا المسجد؟ قالوا: هذه الشجرة حيث بايع رسول الله (ﷺ) بيعة الرضوان فأتيت سعيد بن المسيب فأخبرته فقال سعيد: حدثني أبي أنه كان فيمن بايع رسول الله (ﷺ) تحت الشجرة. قال: فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها فلم نقدر عليها فقال سعيد: (ان اصحاب محمد لم يعلموها وعلمتموها أنتم؟ فانتم اعلم)[٤٤].ولم يتخلف عن البيعة سوى رجل واحد يقال كان منافقاً وهو الجد بن قيس (فبايعناه غير جد بن قيس الانصاري اختبأ تحت بطن بعيرهُ)[٤٥]. وتمت مبايعة الرسول (ﷺ) على الموت قال البخاري (حدثنا قتيبة بن سعيد...قال: قلت لمسلمة بن الاكوع: على اي شيء بايعتم رسول الله (ﷺ) يوم الحديبية؟ قال: على الموت)[٤٦] وأول من بايعه أبو سنان الاسدي (أول من بايع النبي (ﷺ) بيعة الرضوان أبو سنان الاسدي)[٤٧].وجاء في فضل اصحاب البيعة روايات عديدة منها عن حفصة قال: قال النبي (ﷺ): (اني لأرجو ألا يدخل النار أحد ان شاء الله تعالى ممن شهد بدراً والحديبية) قالت: قلت: يا رسول الله أليس قد قال الله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً ﴾[٤٨] قال: ألم تسمعيه يقول: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً﴾[٤٩][٥٠].في هذه الاثناء عرفت قريش بضيق

الموقف فأسرعت إلى ارسال سُهيل بن عمرو لعقد الصُلح واستهل المفاوضات بالاعتذار للرسول (ﷺ) عما بدر من بعض رجال قريش بقوله (من قاتلك لم يكن من رأي ذوي رأينا ولا ذوي الاحلام منا، بل كُنا له كارهين حين بلغنا ولم نعلم به، وكان من سفهائنا، فابعث إلينا بأصحابنا الذين أسرت أول مرة والذين أسرت آخر مرة. فقال رسول الله (ﷺ) اني غير مرسلهم حتى ترسل اصحابي قال سهيل: انصفتنا)[٥١]. فأرسلت قريش عثمان وبقية المسلمين من مكة وقام الرسول (ﷺ) بالعفو عن اسرى المشركين والافراج عنهم[٥٢].

سادسا : صلح الحديبية:

بدا سهيل بن عمرو المفاوضات مع الرسول (ﷺ) وكان إلى جانبه من المشركين هو يطلب بن عبد العزى ومكرز بن حفص (فكلم رسول الله (ﷺ) فأطال الكلام وتراجعوا، وترافعت الأصوات وانخفضت)[٥٣] حتى عقد الصلح وكان علي بن ابي طالب هو كاتب الصلح فقال له (اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، فقال سهيل: لا أعرف هذا ولكن اكتب: باسمك اللهم، فقال رسول الله (ﷺ): اكتب باسمك اللهم، ثم قال: اكتب: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو، قال: قال سهيل: لو شهدت أنك رسول الله، لم اقاتلك، ولكن اكتب اسمك واسم ابيك...فقال رسول الله (ﷺ): اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو، اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس، ويكف بعضهم عن بعض، على انه من أتى محمداً من قريش بغير اذن وليه رده عليهم، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه عليه، وان بيننا عيبة مكفوفة –اي هدنة– وانه من أحب ان يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب ان يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه)[٥٤] (وأن محمداً يرجع عنا عامه هذا بأصحابه ويدخل علينا قابل في اصحابه فيقيم ثلاثاً، لا يدخل علينا بسلاح إلا سلاح المساتر السيوف في القرب)[٥٥] وقد شهد الصلح عدداً من المسلمين واثنين من المشركين بنسختين، احداها عند الرسول (ﷺ) وسلمت الاخرى إلى سهيل بن عمرو[٥٦].بعد توقيع قريش لصلح الحديبية مع الرسول (ﷺ) اعترافها الرسمي بدولة المدينة[٥٧] ومن حق القبائل العربية التعامل معه لذا فإن قبيلة خزاعة دخلت في عهد الرسول (ﷺ) وكانوا حليف بني هاشم منذ عهد عبد المطلب[٥٨].

لم يقابل صلح الحديبية بالارتياح عند عموم المسلمين وخاصة عمر بن الخطاب حيث جاء إلى الرسول (ﷺ) فقال له: (يا رسول الله ألست برسول الله؟ قال: بلى، قال: أولسنا بالمسلمين؟ قال: بلى، قال: اوليسوا بالمشركين؟ قال: بلى، قال: فعلام نعطي الدنيا في ديننا؟ قال: انا عبد الله ورسوله، ولن أخالف أمره، ولن يضيعني)[٥٩].وفي رواية عن البخاري (سألت أبا وائل شهدت صفين؟ قال: نعم. فسمعت سهل بن حنيف يقول: اتهموا رأيكم رأيتيني يوم أبي جندل ولو استطيع ان أرد أمر رسول الله (ﷺ) لرددته وما وضعنا أسيافنا على عواتقنا لأمر يفضحنا ألا أسهلن بنا إلى أمر نعرفه غير أمرنا هذا)[٦٠] ولكن الرسول (ﷺ) قد رضي بتلك الشروط ووقع مع قريش وصرح بأنه يفعل ذلك بأمر الله، فليس أمام المسلمين إلا التسليم والرضا بما رضيه رسول الله (ﷺ) قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾[٦١] ولقد سلّموا لأمر الله ورسوله وقد ترجموا ذلك بأفعالهم.وقد جاء نسوة مؤمنات فسأل أولياؤهن ان يردهن عليهم بالعهد الذي تم في الحديبية، فرفض طلبهم هذا بدليل ان الكلمة التي كتبت في المعاهدة بصدد هذا البند هي (وعلى أن لا يأتيك منا رجُل، وان كان على دينك إلا رددته علينا)[٦٢] فلم تدخل النساء في العقد رأساً وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ... وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ ﴾[٦٣] قال: فكتب إليه عروة بن الزبير: (ان رسول الله (ﷺ) كان صالح قريشاً يوم الحديبية على ان يرد عليهم من جاء بغير اذن وليه فلما هاجرن النساء إلى الرسول (ﷺ) وإلى الاسلام أبى الله أن يردن إلى المشركين وأمر برد صدقاتهن إليهم ان احتبسهنَّ عنهم ان هم ردوا على المسلمين صداق من حبسوا عنهم من نسائهم ذلكم حكم الله فأمسك رسول الله (ﷺ) النساء ورد الرجال وسأل الذي أمره الله بأن يسأل من صدقات نساء من حبسوا منهن وان يردوا عليهم مثل الذي يردون عليهم إن هم فعلوا ولولا الذي حكم الله به من هذا الحكم لرد رسول الله (ﷺ) النساء كما رد الرجال، ولولا الهدنة والعهد الذي بينه وبين قريش يوم الحديبية لأمسك النساء ولم يردد لهن صداقاً وكذلك كان يصنع بمن جاءه من المسلمات قبل العهد) [٦٤].وعند عودة الرسول (ﷺ) من الحديبية، وبينما هو في الطريق بين مكة والمدينة نزلت سورة الفتح ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً﴾[٦٥] مما يشير إلى أن صلح الحديبية كان بمثابة الفتح (فما فتح في الاسلام فتح قبله كان اعظم منه)[٦٦]. وأورد الواقدي رواية تقول (ما كان فتح في الاسلام اعظم من صلح الحديبية وكان أبو بكر الصديق (ﷺ) يقول: ما كان فتح في الاسلام اعظم من فتح الحديبية، ولكن الناس يومئذ قصروا بهم عما كان بين محمد وربه والعباد يعجلون)[٦٧].

الخاتمة

من أهم النتائج التي خرج بها البحث هي:

١. تفصيل أحداث صلح الحديبية من خلال ذكر كافة المرويات الواردة في كتب الصحاح وكتب السيرة النبوية والوقوف على أدق الروايات وأصحها.

٢. دراسة حادثة من أهم حوادث التاريخ الاسلامي بصورة عامة والسيرة النبوية بصورة خاصة لما لها من اهمية كبيرة في حياة الرسول (ﷺ).

٣. يعد صلح الحديبية بمثابة اعتراف من قبل قريش بمكانة المسلمين وقوتهم وبدولة الرسول (ﷺ).

٤. توظيف الجهد الكبير في الدعوة السلمية بعد انتشار الامن والسلام ويتضح ذلك من خلال المرويات الواردة في تلك الحادثة.

٥. تفرغ النبي (ﷺ) لمخاطبة ومراسلة قادة بعض الدول، كقيصر وكسرى والنجاشي ودعوتهم إلى الاسلام.

٦. يعد الصلح فرصة للمسلمين والمشركين للاختلاط فيما بينهم فاعتنق كثيرا من المشركين الاسلام بعد التعرف عليه عن كثب.

٧. فتح مكة الذي يعد من اهم ثمار صلح الحديبية، فبعد نقض المشركين للعهد اضطر النبي والمسلمون إلى مهاجمة مكة وفتحها والقضاء على قوة قريش ونفوذها نهائياً، ودخلت اعداد كبيرة من الناس في الاسلام.

المصادر والمراجع

القران الكريم

١. أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت ٢٧٩هـ\٨٩٣ م)، فتوح البلدان، راجعه وعلق عليه: رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨.

٢. أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الاثير (ت ٦٠٦هـ\١٢١٠ م)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: محمود الطناحي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٩.

٣. أبو الفداء عماد الدين اسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ\١٣٧٣م)، البداية والنهاية، مطبعة الحلبي وأولاده، ط١، القاهرة، ١٣٨٩هـ.

٤. أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ\٩٧١م)، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، دار مكتبة ابن تيمية، ط١، القاهرة، ١٩٩٤.

٥. أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت ٤٥٨هـ\١٠٦٦م)، دلائل النبوة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧١.

٦. أبو بكر عبد الله بن محمد بن ابراهيم العبسي ابن ابي شيبة (ت ٢٣٥هـ\٨٥٠م)، تاريخ ابن ابي شيبة، الجامعة الاسلامية، ط١، المدينة المنورة.

٧. أبو زكريا محي الدين بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ\١٢٧٨م)، المجموع شرح المهذب، مكتبة الارشاد، ط١، جدة.

٨. أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥هـ\٨٨٩م)، سنن ابن ماجة، كتاب الزهد، دار احياء التراث العربي، ١٣٩٥هـ، ٤٢٨١.

٩. أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الاندلسي البكري (ت ٤٨٧هـ\١٠٤٩م)، معجم ما استعجم، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة، ١٣٦٤هـ.

١٠. أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد عبد البر (ت ٤٦٣هـ\١٠٧١م)، الاستيعاب في معرفة الاصحاب، مكتبة نهضة مصر، القاهرة.

١١. أبو يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي (ت ٢٧٧هـ\٨٩١م)، المعرفة والتاريخ، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٩٧٤.

١٢. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ\١٤٤٩م)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، المطبعة السلفية، القاهرة.

١٣. الامام أحمد بن محمد حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ\٨٥٦م)، مسند أحمد، المكتب الاسلامي، ط٢، ١٣٩٨هـ.

١٤. الحجاج بن مسلم القشيري (ت ٢٦١هـ\٨٧٥م)، صحيح مسلم، دار احياء التراث العربي، ط٢، بيروت، ١٩٧٢، ٧٥؛ البخاري، صحيح، كتاب المغازي، ٤١٥٥.

١٥. الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي البغدادي (ت ٤٦٣هـ\١٠٧١م)، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، مكتبة الفلاح، ط١،

١٦. خليفة ابن خياط (ت ٢٤٠هـ\٨٥٥م)، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: اكرم ضياء العمري، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٦٧، ٨١؛ ابن

١٧. الشيخ حافظ بن محمد بن عبد الله، مرويات غزوة الحديبية (جمع وتخريج)، المملكة العربية السعودية، الجامعة الاسلامية، دار احياء

١٨. صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم في سيرة الرسول (ﷺ)، اعتنى به عبد الحميد محمد الدرويش، المكتبة العمرية، ط١،

١٩. الطاهر أحمد الزاوي، ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير واساس البلاغة، دار الفكر، ط٣، بيروت.

٢٠.عاتق بن غيث البلادي، نسب حرب، مكتبة دار البيان، ط١، دمشق، ١٣٩٧هـ.
٢١.فاروق حمادة، مصادر السيرة النبوية وتقويمها، دار الثقافة، ط١، الدار البيضاء، ١٤٠٠هـ.
٢٢.محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة البخاري (ت ٢٥٦هـ/٨٧٠م)، صحيح البخاري، دار ابن كثير، بيروت، ٢٠١٨.
٢٣.محمد بن جرير أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ\٩٢٣م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، مصر،
٢٤.محمد بن سعد بن منيع البصري (ت ٢٣٠هـ\٨٤٥م)، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠.
٢٥.محمد بن عبد الملك ابن هشام (ت ٢١٨هـ\٨٣٣م)، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وابراهيم الابياري، مطبعة البابي الحلبي،
٢٦.محمد بن عمر بن واقد الواقدي (ت ٢٠٧هـ\٨٢٣م)، مغازي الواقدي، عالم الكتب، ط١، بيروت.
٢٧.هاشم يحيى الملاح، الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة، دار ابن الاثير للطباعة والنشر، الموصل، ٢٠٠٥.

هوامش البحث

(١) سورة آل عمران، الآية ٨٥.
(٢) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، مكتبة الفلاح، ط١، ١٤٠١هـ، ٢٥٢/٢.
(٣) فاروق حمادة، مصادر السيرة النبوية وتقويمها، دار الثقافة، ط١، الدار البيضاء، ١٤٠٠هـ، ٣٦.
(٤) أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، دلائل النبوة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧١: ٢١٢/٢.
(٥) محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة البخاري (ت ٢٥٦هـ/٨٧٠م)، صحيح البخاري، دار ابن كثير، بيروت، ٢٠١٨، ٢٧٠١.
(٦) أبو زكريا محي الدين بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، المجموع شرح المهذب، مكتبة الارشاد، ط١، جدة: ٧٨/٧.
(٧) أبو الفداء عماد الدين اسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، مطبعة الحلبي وأولاده، ط١، القاهرة، ١٣٨٩هـ: ١٦٤/٤؛ ابن حجر، التلخيص: ٩٠/٤.
(٨) محمد بن عمر بن واقد الواقدي (ت ٢٠٧هـ)، مغازي الواقدي، عالم الكتب، ط١، بيروت: ٥٧٣/٢؛ العيني، عمدة القارئ: ٦/١٤.
(٩) محمد بن سعد بن منيع البصري (ت ٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠: ٩٥/٢.
(١٠) أبو يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي (ت ٢٧٧هـ)، المعرفة والتاريخ، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٩٧٤: ٢٥٨/٣.
(١١) البخاري، صحيح، كتاب المغازي، ٣٥.
(١٢) الحجاج بن مسلم القشيري (ت ٢٦١هـ)، صحيح مسلم، دار احياء التراث العربي، ط٢، بيروت، ١٩٧٢، ٧٥؛ البخاري، صحيح، كتاب المغازي، ٤١٥٥.
(١٣) البيهقي، دلائل النبوة: ٢١٣/٢.
(١٤) البخاري، صحيح، المغازي، ٤١٥٤؛ خليفة ابن خياط (ت ٢٤٠هـ)، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: اكرم ضياء العمري، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٦٧، ٨١؛ ابن سعد، الطبقات: ٩٩/٢.
(*) الركوة: اناء صغير يشرب فيه الماء والجمع ركاء. أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الاثير (ت ٦٠٦هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: محمود الطناحي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٩.
(*) الجهش: ان يفزع الانسان إلى الانسان ويلجأ إليه. ابن الاثير، النهاية: ٣٢٢/١.
(*) يثور: يتبع بقوة وشدة. ابن الاثير، النهاية: ٢٢٨/١.
(١٥) البخاري، صحيح، كتاب الفتح، ٣٥٧٦؛ مسلم، صحيح، كتاب الامارة، ٧٣.
(١٦) الامام أحمد بن محمد حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ)، مسند أحمد، المكتب الاسلامي، ط٢، ١٣٩٨هـ: ٣٢٣/٣.
(١٧) أحمد، المسند: ٣٢٣/٣.
(١٨) محمد بن جرير أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، مصر، ١٩٦٧: ٢٧١/٢.

(١٩) أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت ٢٧٩هـ)، فتوح البلدان، راجعه وعلق عليه: رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨، ٣٢.

(٢٠) أبو بكر عبد الله بن محمد بن ابراهيم العبسي ابن ابي شيبة (ت ٢٣٥هـ)، تاريخ ابن ابي شيبة، الجامعة الاسلامية، ط١، المدينة المنورة، ٦٠.

(٢١) ابن ابي شيبة، تاريخ ابن ابي شيبة، ٦١.

(٢٢) محمد بن عبد الملك ابن هشام (ت ٢١٨هـ)، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وابراهيم الابياري، مطبعة البابي الحلبي، مصر، ١٩٥٥: ٣٠٨/٣.

(٢٣) مسلم، صحيح، كتاب الامارة، ٧٠؛ الواقدي، المغازي: ٥٧٣/٢.

(*) عيناً: جاسوساً. ابن الاثير، النهاية: ٣٣١/٣.

(*) غدير الاشطاط بفتح اوله واسكانه ثانية بعدها مهملة وعلى وزن افعال–تلقاء الحديبية وهو موضع قريب من عسفان. أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الاندلسي البكري (ت ٤٨٧هـ)، معجم ما استعجم، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة، ١٣٦٤هـ: ١٥٣/١.

(٢٤) البخاري، صحيح، كتاب المغازي، ٤١٧٨–٤١٧٩.

(*) عسفان: محطة تاريخية بين مكة والمدينة على ثمانين ميلاً من مكة. عاتق بن غيث البلادي، نسب حرب، مكتبة دار البيان، ط١، دمشق، ١٣٩٧هـ، ٣٧٠.

(٢٥) أحمد، المسند: ٣٢٣/٤.

(٢٦) الشيخ حافظ بن محمد بن عبد الله، مرويات غزوة الحديبية (جمع وتخريج)، المملكة العربية السعودية، الجامعة الاسلامية، دار احياء التراث الاسلامي، ٩٥.

(*) الروحاء: محطة في صدر وادي الصفراء على طريق مكة من المدينة على ٧٣ ميلاً مشهور ببئر الروحاء. نسب قريش، ٣٦١.

(*) غيقة: ماء لبني غفار بين مكة والمدينة. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، المطبعة السلفية، القاهرة: ٢٣/٤.

(٢٧) ابن حجر، فتح الباري: ٢٤/٤.

(٢٨) ابن سعد، الطبقات: ٩٥/٢.

(*) جريدة الخيل: الجريدة خيل لا رجالة فيها (اي كلهم راكبون). الطاهر أحمد الزاوي، ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير واساس البلاغة، دار الفكر، ط٣، بيروت: ٤٧١/١.

(*) حزنا: الحزن المكان الغليظ الخشن. ابن الاثير: النهاية: ٣٨٠/١.

(*) الفدافد: جمع فدفد وهو المكان الصلب الغليظ المرتفع. ترتيب القاموس: ٤٥٦/٣–٤٥٧.

(*) النزح: البئر التي أُخذ ماؤها. ابن الاثير، النهاية: ٤٠/٥.

(٢٩) أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، دار مكتبة ابن تيمية، ط١،

(٣٠) الحكمي، مرويات غزوة الحديبية، ٩٨.

(*) زجرها: حثها وحملها على السرعة. ابن الاثير، النهاية: ٢٩٦/٢.

(*) الثمد: الماء القليل. ابن الاثير، النهاية: ٢٢١/١.

(*) يتربصه الناس: يأخذونه قليلاً قليلاً، والبرض الشيء القليل. ابن الاثير، النهاية: ١٩٨/١.

(٣١) البخاري، صحيح، كتاب الشروط، ٢٧٣١.

(*) القليب: البئر التي تُطو. ابن الاثير، النهاية: ٩٨/٤.

(*) يعطن: العطن مبرك الابل حول الماء. يقال: عطنت الابل. ابن الاثير، النهاية: ٢٥٨/٣.

(٣٢) أحمد، مسند: ٣٢٣/٤.

(٣٣) ابن هشام، السيرة: ٣١٠/٣.

(٣٤) الواقدي، المغازي: ٥٨٢/٢.

(٣٥) البخاري، صحيح، كتاب المغازي، ٤١٧٨.

(٣٦) مسلم، صحيح، كتاب الجهاد، ١٣٣.

(٣٧) سورة الفتح، الآية ٢٤.

(٣٨) السيرة: ٣١٤/٣.

(٣٩) البخاري، صحيح، كتاب الشروط، ٢٧٣١.

(٤٠) ابن هشام، السيرة: ٣١٥/٢.

(*) ردف: الرديف اي الراكب خلف الراكب، الزاوي، ترتيب القاموس: ٣٢٥/٢.

(٤١) الواقدي، المغازي: ٦٠٤/٢.

(٤٢) المصدر نفسه: ٦٠٢/٢-٦٠٣.

(٤٣) سورة الفتح، الآية ١٨.

(٤٤) البخاري، صحيح، كتاب المغازي، ٤١٦٣.

(٤٥) مسلم، كتاب الامارة، ٦٩.

(٤٦) البخاري، صحيح، كتاب الفتح، ٤١٦٩.

(٤٧) ابن سعد الطبقات: ١٠٠/٢؛ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد عبد البر (ت ٤٦٣هـ)، الاستيعاب في معرفة الاصحاب، مكتبة نهضة مصر، القاهرة: ٣١٤/١١.

(٤٨) سورة مريم، الآية ٧١.

(٤٩) سورة مريم، الآية ٧١.

(٥٠) أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥هـ)، سنن ابن ماجة، كتاب الزهد، دار احياء التراث العربي، ١٣٩٥هـ، ٤٢٨١.

(٥١) الواقدي، المغازي: ٦٠٤/٢.

(٥٢) هاشم يحيى الملاح، الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة، دار ابن الاثير للطباعة والنشر، الموصل، ٢٠٠٥.

(٥٣) الواقدي، المغازي: ٦٠٥/٢.

(٥٤) ابن هشام، السيرة: ٣١٧/٢-٣١٨.

(٥٥) الواقدي، المغازي: ٦١٢/٢.

(٥٦) الواقدي، المغازي: ٦١٢/٢؛ الملاح، الوسيط، ٢٨٩.

(٥٧) الملاح، الوسيط، ٢٩١؛ صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم في سيرة الرسول (ﷺ)، اعتنى به عبد الحميد محمد الدرويش، المكتبة العمرية، ط١، دمشق، ٢٠٠٧، ٣٢٣.

(٥٨) ابن هشام، السيرة: ٣١٨/٢.

(٥٩) الواقدي، المغازي: ٦١٣/٢؛ البخاري، صحيحه، كتاب الفتح، ٣١٨٢.

(٦٠) البخاري، صحيحه، كتاب الجزية، ٣١٨١.

(٦١) سورة الاحزاب، الآية ٣٦.

(٦٢) البخاري، صحيح، كتاب الفتح، ٢٧١١.

(٦٣) سورة الممتحنة، الآية ١٠.

(٦٤) ابن هشام، السيرة: ٣٢٦/٣.

(٦٥) سورة الفتح، الآية ١.

(٦٦) ابن هشام، السيرة: ٣٢٢/٢.

(٦٧) الواقدي، المغازي: ٦٣٧/٢.